على افتتاح المفاوضات الثنائية (المصدر نفسه). وبدأت أعمال مؤتمر السلام في ٣/١١/١٩٩١، واختتمت الجولة الاولى منه في ٤/١١/١٩٩١. وقد علّق دبلوماسي سوري على مفاوضات سوريا مع اسرائيل بأنها كانت سلبية تماماً، و«ان اسرائيل رفضت بشكل قاطع أي التزام» (الشعب، ٥/١١/١٩٩١). وقال رئيس الوفد السوري في المفاوضات، موفق العلاف: «ان الاسرائيليين لم يتباحثوا بشأن مبدأ الارض مقابل السلام... [لكن] سوريا لم تفقد الأمل بشأن احراز تقدّم في نهاية المطاف، وستواصل مساعيها لمساعدة الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي على أمل التوصّل الى اتفاق» (المصدر نفسه). وقالت الاذاعة السورية، في تعليق لها على سير المفاوضات: «ان سوريا مصمّمة على تحقيق السلام كيفما كانت نوايا اسرائيل» (المصدر نفسه). مع ان دبلوماسي سوري قال «ان الجانب الاسرائيلي رفض التطرّق الى الانسحاب من الجولان وتنفيذ قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ وتجميد بناء المستوطنات في الاراضي المحتلة» (السلام، ٥/١١/١٩٩١).

أمّا بالنسبة الى الوفد الفلسطيني ـ الاردني المشترك، فقد عقد الوفد جلستين مع الوفد الاسرائيلي، وصدر في ختامهما بيان، ممّا جاء فيه «ان الوفود التي شاركت في المفاوضات قد اجتمعت لتبدأ مفاوضات مباشرة على أساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨... [و] هذه المفاوضات سوف تستمر من خلال شقين، أحدهما فلسطيني ـ اسرائيلي والآخر أردني ـ اسرائيلي» (الشعب، ٥/١١/١٩٩١).

وقد قيّم الطرف الفلسطيني مشاركته في مؤتمر مدريد ايجابياً، حيث قال الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في رسالته الشهرية الى الشعب الفلسطيني: « ان مشاركة الوفد الفلسطيني في مؤتمر السلام شكّلت تثبيتاً لوجود الشعب الفلسطيني على الخارطة السياسية للعالم وتكريساً لحضوره في النظام العالمي الجديد... [وان] الذهاب الى مدريد كان من أجل النضال لانتزاع الحقوق الفلسطينية» (السلام، ١١/١١/١٩٩١). وأوضحت الناطقة باسم الوفد الفلسطيني، د. حنان عشراوي، «ان الفلسطينيين حقّقوا انجازاً تاريخياً في مدريد، اذ حصلوا على الاعتراف العالمي بالهوية الفلسطينية وبمشروعية الحقوق الفلسطينية» (الشعب، ٩/١١/١٩٩١). وقال رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. فاروق القدومي (أبو اللطف) انه «بعد افتتاح مؤتمر مدريد... نشعر بأن العالم يدعمنا... [و] لقد كسبنا... مسألة التمثيل، حيث للمرة الاولى في التاريخ ندخل مؤتمراً دولياً بتمثيل فلسطيني مستقل» (المصدر نفسه).

وقد اعتبر ملك المغرب، الحسن الثاني، مؤتمر مدريد «بأنه تغيير تاريخي هامّ، حيث اجتمعت الاطراف المعنيّة بالمشكلة لأول مرة وجهاً لوجه» (الرأي، عمّان، ٢٢/١١/١٩٩١). وقال وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية، جيمس بيكر: «ان مؤتمر السلام قد خطا مرة أخرى ' الخطوة الحرجة' ... بعد افتتاح المفاوضات الثنائية» (السلام، ٥/١١/١٩٩١).

مراوحة في المكان

بعد مدريد، شكّلت مسألة مكان المفاوضات العقبة الرئيسة في طريق استئنافها. فردّاً على دعوة اسرائيل لاجرائها في منطقة الشرق الاوسط، أوضح وزير خارجية سوريا، فاروق الشرع، في حديث الى صحيفة «اليوم» السعودية، «ان قرار سوريا بشأن اجراء المفاوضات مع اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط... هو قرار نهائي ولا رجعة فيه... [و] قد أبلغنا موقفنا بكل صراحة ووضوح... لراعيي المؤتمر قبل اليوم الأخير في مدريد، عندما أثار الوفد الاسرائيلي هذه المشكلة» (الشعب، ٢١/١١/١٩٩١). وقال الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، «أن كل عمل يرمي الى تحويل مكان المفاوضات يجب ان يكون ناتجاً عن موافقة الاطراف المعنيّة» (المصدر نفسه، ٢/١٢/١٩٩١). وكانت الولايات المتحدة الاميركية طالبت «اسرائيل وبقية الدول العربية المعنيّة بمؤتمر السلام بالاتفاق على مكان عقد المفاوضات الثنائية في مدة لا تتجاوز الاسبوعين». وقال وزير خارجيتها «انه في حال عدم وجود أي اتفاق ستكون الولايات المتحدة الاميركية حرّة في تقديم العديد من الاقتراحات» (المصدر نفسه، ٧/١١/١٩٩١).

ولم تتفق الأطراف ايّاها حول ذلك. وهكذا